الملخص

يشكّل الذكاء الاصطناعي إحدى أبرز التحولات التقنية في عصرنا، إذ تجاوز نطاقه التطبيقات الصناعية والاقتصادية ليغدو مؤثراً في البنى الثقافية والاجتماعية والقانونية والأخلاقية. في السياق الإسلامي، يثير هذا التطور سؤالاً جوهرياً حول كيفية ضبط هذه التقنيات الحديثة وفق مقاصد الشريعة الإسلامية ومبادئها الكلية، بحيث تكون أداة لخدمة الإنسان والمجتمع في إطار القيم الدينية الراسخة. تهدف هذه الورقة إلى تحليل العلاقة بين الذكاء الاصطناعي وأحكام الشريعة الإسلامية، واستكشاف الفرص التنموية التي يتيحها، إلى جانب التحديات الأخلاقية والشرعية والقانونية التي تصاحبه. كما تتناول الورقة تجربة النماذج العربية الذكية والبوتات التخصصية بوصفها تطبيقات عملية قادرة على تحقيق التوازن بين مقتضيات التطور التقني ومتطلبات الهوية والقيم الإسلامية.

الكلمات المفتاحية:

الذكاء الاصطناعي، الشريعة الإسلامية، التنمية المستدامة، الأخلاقيات، النماذج العربية الذكية، البوتات البحثية، هندسة التعليمات.

Abstract

Artificial intelligence constitutes one of the most significant technological transformations of our time, having extended beyond industrial and economic applications to influence cultural, social, legal, and ethical structures. In the Islamic context, this development raises a fundamental question regarding how such modern technologies can be regulated in accordance with the higher objectives (maqāṣid) and overarching principles of Islamic law, ensuring they serve humanity and society within a framework of established religious values. This paper aims to analyze the relationship between artificial intelligence and the rulings of Islamic jurisprudence, exploring the developmental opportunities it presents, alongside the ethical, legal, and religious challenges it entails. Furthermore, the paper discusses the experience of Arabic intelligent models and specialized bots as practical applications capable of balancing the imperatives of technological advancement with the requirements of Islamic identity and values.

المقدمة

يعيش العالم اليوم في خضم ثورة صناعية رقمية يقودها الذكاء الاصطناعي، الذي أصبح يُنظر إليه باعتباره المحرك الأساسي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية. ومع هذا التحول، يبرز سؤال جوهري أمام المجتمعات الإسلامية: كيف يمكن الاستفادة من هذه التقنيات الحديثة دون المساس بالقيم الشرعية؟ وكيف يمكن أن تكون هذه الأدوات امتداداً للجهد الإنساني في خدمة مقاصد الشريعة وحماية الإنسان والمجتمع؟

لا تكمن أهمية البحث في الجانب التقني وحده، بل في التحدي المزدوج المتمثل في صياغة رؤية إسلامية معاصرة توازن بين استيعاب الذكاء الاصطناعي وبين ضبطه أخلاقياً وشرعياً. ويزداد هذا التحدي وضوحاً عند الحديث عن النماذج العربية الذكية التي تمثل رافعة حضارية لتوطين المعرفة التقنية، وتُسهم في بناء بدائل أصيلة تتسق مع هوية الأمة وقيمها.

مراجعة الأدبيات

يمكن تقسيم الأدبيات السابقة ذات الصلة إلى أربعة مسارات رئيسة:

1. **المسار الشرعي :**وهو ما عالج قضايا فقه النوازل في ضوء المستجدات التقنية. تناول العلماء موضوعات مثل الذكاء الاصطناعي في الاقتصاد والتمويل، وأحكام استخدام الخوارزميات في الفتوى أو القضاء، ومفهوم المسؤولية الشرعية عن أخطاء النظم الذكية. هذه الدراسات وضعت إطاراً عاماً يحاول الموازنة بين المصلحة والمفسدة.
2. **المسار التقني :**ركّز على دراسة البنى التكنولوجية للذكاء الاصطناعي مثل البيانات الضخمة والخوارزميات والنماذج التوليدية، مبيّناً كيف أصبحت البيانات وقوداً رئيساً لعمل النماذج، وأن جودة البيانات تحدد قوة المخرجات. هذه الدراسات أوضحت أن الذكاء الاصطناعي ليس مجرد برمجيات، بل نظام معرفي يقوم على التعلّم المستمر.
3. **المسار الأخلاقي :**تناول التحديات المرتبطة بالانتحال الأكاديمي، والسرقات الفكرية، والتحيزات الخوارزمية، والخصوصية الرقمية. وأكدت هذه الأدبيات على ضرورة بناء أطر قيمية تحكم عمل الذكاء الاصطناعي، وأن التقنية مهما بلغت من تطور فهي بحاجة إلى ضوابط بشرية تضمن العدالة والشفافية.
4. **المسار العربي التطبيقي :**يتمثل في الجهود المبذولة لتطوير نماذج عربية ذكية وبوتات تخصصية. هذه الجهود سعت إلى سد الفجوة اللغوية والثقافية من خلال بناء أدوات تشكيل النصوص العربية، وتخريج الأحاديث، وتحليل البيانات، وتوليد العناوين البحثية، وتنسيق المراجع. وقد أثبتت أن بناء بدائل عربية متخصصة ممكن وواعد، شريطة وجود دعم مؤسسي وأكاديمي.

الإطار النظري والمنهجي

ترتكز هذه الورقة على إطارين متكاملين:

1. **الإطار الشرعي :**يعتمد على قواعد الفقه الإسلامي ومقاصده الكبرى، خاصة قاعدة "جلب المصالح ودرء المفاسد". إذ يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي من منظور أنه وسيلة، لا غاية، وأن مشروعية استخدامه تتوقف على نتائجه وآثاره.
2. **الإطار التنموي :**يرتبط بأهداف التنمية المستدامة، مثل تعزيز التعليم الجيد، تحقيق العدالة، دعم الابتكار، وبناء مؤسسات قوية. إذ يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون وسيلة فعالة لتحقيق هذه الأهداف، بشرط توجيهه وفق قيم الشريعة.

أما المنهجية المتبعة فهي المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على جمع المعطيات من المصادر الشرعية والتقنية، وتحليلها بهدف الوصول إلى رؤية شاملة تجمع بين الأصالة والمعاصرة. كما يتم إدراج أمثلة تطبيقية من واقع النماذج العربية الذكية والبوتات البحثية لتوضيح الإمكانات العملية.

التحليل والمناقشة

أولاً: الفرص

1. **خدمة العلوم الشرعية :**يمكن للذكاء الاصطناعي أن يسهّل البحث في النصوص التراثية عبر بوتات متخصصة في تخريج الأحاديث، والتحقق من أقوال العلماء، وتشكيل النصوص بما يضبط القراءة والفهم. هذه الأدوات لا تلغي دور الفقيه، لكنها تدعمه وتوفر له الوقت والجهد.
2. **تمكين البحث الأكاديمي :**تُعد النماذج العربية الذكية أداة مساعدة للباحثين في اختيار عناوين أصيلة لرسائل الماجستير والدكتوراه، وصياغة خطط بحثية متكاملة، وتنسيق المراجع وفق المعايير العالمية. هذه التطبيقات تسهم في رفع جودة البحث العلمي وتسريع إنجازه.
3. **الإعلام الإسلامي :**يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لتوليد محتوى إعلامي يلتزم بالهوية الثقافية واللغوية، مثل تشكيل الأخبار للنطق السليم، أو تحليل الصور والفيديوهات بشكل حيادي يعزز الموضوعية.
4. **تحقيق التنمية المستدامة :**عبر توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم الإلكتروني، وتحليل البيانات في القطاعات الاقتصادية، وإدارة الموارد البيئية، مما يساهم في تحقيق العدالة الاجتماعية وتحسين جودة الحياة.

ثانياً: التحديات

1. **الأبعاد الشرعية :**الخشية من أن تُستخدم النماذج الذكية في إصدار فتاوى آلية دون إشراف بشري مؤهل، وهو ما قد يؤدي إلى فوضى فقهية تفتقر للعمق والاستنباط الشرعي.
2. **الأبعاد الأخلاقية :**انتشار الانتحال الأكاديمي بسبب سهولة إعادة صياغة النصوص أو توليدها آلياً، ما يستلزم وضع ضوابط صارمة لحماية النزاهة العلمية.
3. **الأبعاد القانونية :**الحاجة إلى تشريعات واضحة تحمي الخصوصية والملكية الفكرية، وتحدد المسؤولية عند وقوع خطأ بسبب استخدام الذكاء الاصطناعي.
4. **الأبعاد التقنية :**ضعف البيانات العربية مقارنة باللغات الأخرى، مما قد يؤدي إلى مخرجات غير دقيقة أو منحازة. وهذا يتطلب استثماراً في بناء قواعد بيانات عربية عالية الجودة.

ثالثاً: التوازن المقترح

لتحقيق التوازن بين الفرص والتحديات، يمكن تبني الآتي:

- وضع تعليمات تكوين صارمة للنماذج الذكية تحدد هويتها وسياقها وضوابط استخدامها.
- إشراك العلماء الشرعيين في تصميم هذه النماذج لضمان اتساقها مع مقاصد الشريعة.
- تطوير معايير عربية لقياس جودة النماذج من حيث وضوحها، شمولها، وحياديتها.
- إدماج هذه النماذج في المؤسسات الأكاديمية والإعلامية ضمن أطر حوكمة واضحة.

الخاتمة

يُعد الذكاء الاصطناعي سلاحاً ذا حدين: فمن جهة، هو أداة قوية قادرة على تعزيز التنمية المستدامة وخدمة العلوم الشرعية والأكاديمية والإعلامية، ومن جهة أخرى، يحمل مخاطر أخلاقية وشرعية إذا استُخدم دون ضوابط. الرؤية الإسلامية لا تنظر إليه بعين الرفض أو القبول المطلق، بل بعين التوظيف الرشيد الذي يجعل التقنية في خدمة الإنسان لا العكس. ومن خلال النماذج العربية الذكية والبوتات التخصصية، يمكن للمجتمعات الإسلامية أن تبني بديلاً حضارياً متجذراً في قيمها، منفتحاً على المستقبل، ومساهماً في رسم ملامح عالم أكثر عدلاً وتوازناً.

النتائج

- **الذكاء الاصطناعي قادر على خدمة الشريعة الإسلامية إذا صُمم وفق مقاصدها وضوابطها.**
- **النماذج العربية الذكية تمثل بديلاً حضارياً يعزز الهوية الثقافية ويقدم حلولاً تقنية أصيلة.**
- **إدماج البوتات الشرعية واللغوية في البحث والتعليم يمكن أن يحقق مكاسب معرفية مستدامة.**
- **التحديات الأخلاقية والشرعية لا تعد عائقاً بقدر ما هي فرصة لتطوير أطر فقهية معاصرة تتماشى مع المستجدات.**

التوصيات

1. **تأسيس مراكز بحثية متخصصة** تجمع بين علماء الشريعة وخبراء الذكاء الاصطناعي لتطوير نماذج أصيلة.
2. **بناء بوتات شرعية متخصصة** للفتوى وتخريج الأحاديث والتفسير، على أن تكون تحت إشراف مؤسسي.
3. **إنشاء معايير عربية لقياس الجودة** تركز على الأصالة والشفافية وحماية القيم.
4. **إدماج موضوع الذكاء الاصطناعي والشريعة** ضمن مناهج الجامعات الإسلامية لتهيئة جيل واعٍ بهذه القضايا.
5. **تطوير سياسات لحماية البيانات** تتسق مع القيم الإسلامية وتضمن خصوصية المستخدمين.

قائمة المراجع

- ابن حجر العسقلاني .*فتح الباري في شرح صحيح البخاري* .دار المعرفة، بيروت، 1986م.
- الشاطبي، أبو إسحاق .*الموافقات في أصول الشريعة* .دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- الزراعي، د.عبدالرحمن .*سلسلة الآلة الذكية: مرتكزات الذكاء الاصطناعي* .مركز علوم الذكاء الاصطناعي، 2023م.
- الزراعي، د.عبدالرحمن .*الانتحال الأكاديمي: أدوات الكشف وحدود التقنية* .مركز علوم الدولي، 2024م.
- OpenAI. *GPT-5 unified system instructions*. 2025م.
- الزراعي، د.عبدالرحمن . *مشروع النماذج العربية الذكية*. مركز علوم الذكاء الاصطناعي2024 ..م.